الفصل الأول

شعرية القلق والوجاعة في شعر نزيه أبو عفش

1. شعرية القلق والنفي الوجودي

2. شعرية التمرد بالعبث بمظاهر الوجود وتشويه الموجودات

3. شعرية الوجاعة بتقديس الخطيئة والإيمان بالمتناقضات

* نتائج واستدلالات

الفصل الأول

شعرية القلق والوجاعة في شعر نزيه أبو عفش

تنطوي نصوص الشاعر نزيه أبو عفش على معاناة وجودية مردها: الإحساس بالقلق والتوتر والوجاعة الداخلية، من جراء تأملاته الوجودية التي تقوم على إثارة المتناقضات والجدليات والرؤى المتضادة إزاء حركة الواقع والوجود، ولعل نزوع العفش إلى التأملات الوجودية والتكثيفات التصويرية والانتهاكات اللغوية، مردُّها الغربنة والاغتراب والارتكاس النفسي الداخلي العميق.

ومن تدقيقنا في مداليل التجربة الشعرية – عند نزيه أبو عفش – وجدنا أن قصائده تنطوي على شعريات نفسية إيديولوجية تؤسس حركتها على الجدل والصراع الداخلي، ونحددها بالنقط التالية:

1. **شعرية القلق والنفي الوجودي:**

ونقصد بـ[شعرية القلق والنفي الوجودي]:

الإحساس بالتأزم والقلق النفسي من جراء الارتكاسات الواقعية التي يحسها الشاعر في واقعه من ضغوطات وازدواجيات واصطراعات نفسية، انبعاثية، ارتكاسية، مؤلمة، تحقق وجودها على الانسلاخ عن الواقع بالغربنة، والنفي، والاغتراب.

وقد استطاع نزيه أبو عفش أن يعكس ارتكاساته النفسية المؤلمة من جراء نفيه للواقع ودناسته الوجودية وروتينه المميت، إذ يقول:

"هنا سوفَ نبقى

وُلدنا هنا

ونموتُ هنا

وهنا سوفَ نبقى على هذه الأرضِ،

لن نتزحزحَ قيدَ ذراعٍ

ولن نتسامح قيدَ ذراعٍ

ونبقى..

لنجعلَ من هذه الأرض فردوسَنا

أو نُعِدّ لأوهامنا الأضرحة

سنصبر حتى يُجنّ الطغاةُ

ونَبْرأَ من هذه المذبحة

جميعاً سنبقى

ولو مادت الأرضُ من تحتنا

وأغارتْ علينا المياهُ

سَيَدْفن واحدُنا وحدَهُ

وسوانا سواهُ

سنبقى لنحرسَ هذي القبورَ

وندفعَ عن ساكنيها النعاسْ

سنبقى.. لأنّا سنبقى

نلوكُ الحصى وننامُ على نصلِ خنجرْ

سنبقى

لأنّا هنا قادرون على الحقدِ أكثرْ

سنبقى إلى أبدِ الآبدينْ

نَعُدُّ توابيتنا..

ونرشُّ على الموتِ سكّرْ"[1].

تتأسس مثيرات هذه القصيدة على البعد التأملي النفسي، إذ يحس الشاعر أن الحياة تميل إلى الروتين المميت فلا تجدد ولا تطور فيها على الإطلاق، إن كل شيء يؤذن بالقتامة والموت والحداد، وكل شيء يؤذن بالوجاعة والتوتر والقلق والجراح والمعاناة، وهذا ما تبدَّى في قوله: "**سنبقى.. لأنّا سنبقى نلوكُ الحصى وننامُ على نصلِ خنجرْ سنبقى لأنّا هنا قادرون على الحقدِ أكثرْ سنبقى إلى أبدِ الآبدين نَعُدُّ توابيتنا.. ونرشُّ على الموتِ سكّرْ**".

إن هذا الإحساس المأزوم بالموت دليل على القلق والوجاعة الداخلية والإحساس بالتناقض والتأزم والانكسار النفسي.

ومن ذلك الإحساس بالقلق والتوتر إزاء الخطر الذي يهدد وجوده، قائلاً:

"**في خطرْ**

نحن مثلكمُ الآنَ:

أرواحُنا في خطرْ

خبزنا في خطرْ

ماؤُنا في خطرْ

(1) أبو عفش، نزيه، 2005 – الأعمال الشعرية، دار المدى، ط1،ج2، ص 119- 120.

السماءُ التي احتكَرَ اللهُ زرقتَها

في خطرْ

كتبُ العلماءِ في خطرْ

لغةُ الشعراءِ في خطرْ

ما بنيناه يوماً فيوماً يؤولُ إلى قبضِ ريحْ

جبلٌ مائل يتزلزلُ قدّامَنا، وهواءٌ ذَبيحْ

يتفتّقُ عن زبدٍ، والسماءُ تضخّ الدماءَ

وتحجبُ عن طالبيهِ المطرْ

نحن مثلكمُ الآنَ

لم يبقَ من روحِنا ما يدلّ علينا

فكيفَ لنا أن نعيشْ

تحتَ هذا الركام الذي خلّفتْهُ البيوتْ

وكيف لنا أن نموتْ

وتوابيتنا في خطر!!.."[1].

إن من يدقق في مداليل هذه القصيدة يلحظ كثافة رؤيتها الارتكاسية المؤلمة الدالة على القلق والوجاعة الداخلية، إذ يحس الشاعر بالخطر الذي يتهدده من مختلف الجهات، ويقضُّ مضجعه، معبِّراً عن دناسة الوجود ودناسة الحياة وصعوبتها وارتكاساتها النفسية المؤلمة، إذ يقول: "**لم يبقَ من روحِنا ما يدلّ علينا فكيفَ لنا أن نعيشْ تحت هذا الركامِ الذي خلّفتْهُ البيوتْ وكيف لنا أن نموتْ**

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 121- 122.

وتوابيتنا في خطر!!..".

إن الإحساس بالقلق والوجاعة يعتصر أناه الوجودية بالنفي والانسلاخ عن الذات إلى درجة الانكسار والتصدع النفسي والغربنة الوجودية والانكسار الشعوري، كما في قوله:

"من أين يأتي كلُّ هذا الصبرِ كي نبقَى على قيدِ الحياةْ؟!

من أينَ يأتي كلُّ هذا الصبرِ..؟!

أمْ في القبرِ شيءٌ غيرُ هذا القبرِ

كيما نبتغيه ويَهلكَ الشعراءُ فيهِ؟

من أينَ يأتي كلُّ هذا...؟

كيف لم تَخرجْ علينا روحُنا من ثوبِ معدنِها الخفيفِ

لتدرأَ الشبهاتِ عن أطوارِها الأولى وعنّا؟

..... هلكتْ حناجرُنا ونحن نصيحُ

لم يرأفْ بنا أحدٌ

ولم ينصتْ لنا أحدٌ

ولم يشفقْ على أدوارِ وحشتِنا أحدْ

نامي إذنْ يا روحُ، نامي الآن،

أو فدعي الجسدْ

يطوي يديهِ على يديهِ ويستعدّ لكي ينامْ.

نفدتْ أمانينا

نفدتْ مراثينا

أحلامُنا نفدتْ

عُصارةُ روحنا نفدتْ

وما نفدَ الكلامْ"[1].

تتأسس مداليل – هذه القصيدة – بالقلق والوجاعة الداخلية، إذ إن الشاعر يعبر عن احتجاجه الوجودي بلفظة الصراخ والصياح والاحتجاج والزعيق الداخلي النفسي المؤلم، وكأن كل شيء أمامه يصرخ ألماً وحسرة على دناسة الوجود ودناسة الواقع المحيط بالتناقض والجراح والآلام، إذ يقول: "**هلكتْ حناجرُنا ونحن نصيحُ لم يرأفْ بنا أحدٌ ولم ينصتْ لنا أحدٌ ولم يشفقْ على أدوارِ وحشتِنا أحدْ نامي إذنْ يا روحُ، نامي الآن، أو فدعي الجسدْ يطوي يديهِ على يديهِ ويستعدّ لكي ينامْ**".

إن الإحساس بالوجاعة والقلق والمعاناة تتبدى ماثلة في قصائد العفش، دلالة على الارتكاس النفسي والقلق والصدام النفسي وجراح الواقع المدنس بالضياع والخوف والتمزق الداخلي، إذ يقول: "**نفدتْ مراثينا أحلامنا نفدتْ عُصارة روحنا نفدتْ وما نفد الكلامْ**".

وقد يأتي القلق – في شعر العفش – دالاً دلالة واضحة على نفي الذات والنفي الوجودي المتعلِّق بكينونة الذات، دلالة على الارتكاس النفسي والقلق والوجاعة الداخلية، إذ يقول:

"**يا اللهُ..**

كيف تركْتَنا نمضي إلى ما نحن فيه الآنَ؟

لم يبقَ لنا في الأرضِ ما نرجوهُ

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 112- 114.

لم يبقَ لنا في الحلْمِ ما نحلمهُ

لم يبقَ ما نبحث عنهُ

كلّ شيء ضاقَ.. حتى

لم يعدْ يجدُ الفتى مغزىً لقبلتهِ،

ولا تجد الفَتَاة

أرجوحةً لفضاء نهديها،

ولا يجد المغنّي

أفقاً لصرختِهِ،

ولا يجدُ النبيّ

لصليبه جبلاً

ولا يجدُ الصبيّ

في علبة التلوين ما يكفي لأن يُبقي السماء على سجيّتها

ويعطي للمياه أسرارَ زرقتها العميقةِ...

كلّ شيءٍ ضاقَ حتى ضاقْ

لم يَبق للعشاقِ غيرُ اليأسْ واليأسُ بعضُ فضائلِ العشاقْ"[1].

هنا، يتساءل الشاعر أسئلة وجودية متأملاً جدليات الواقع والحياة كل أحلام الإنسان تجري إلى الوراء لا إلى الأمام وكل الأحلام اضمحلت في هذا الواقع الوجودي المأزوم وضاقت الأحلام والآمال والأرض حتى لم يبق للعشاق غير اليأس، ولم يبق للسماء هذه الزرقة المبهجة، ولم يبق للفتاة أحلامها ولم يبق للفتى

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 116-117.

أغانيه وأمانيه الخضراء كل شيء يضيق حتى الاختناق وقد شعشع اليأس في هذا العالم الوجودي حتى خيم على أحلام العشاق ولون الوجود بالقتامة والسواد، إن هذه الرؤى تدل على ارتكاس نفسي مؤلم ووجاعة داخلية تدل على التمزق والاغتراب الداخلي.

وقد يصوِّر العفش هذه الوجاعة والرجس الوجودي بصور تتقطر أسًى وتفور حزناً، على مأساة الوجود، كما في قوله:

"لا تفقْ يا أبي

فلقد عرفَتْني الكلابُ

وشمّتْ روائحَ يأسي القططْ

لم أجِئْ طارقاً

لم أجِئْ سارقاً

جئتُ أبكي فقطْ

جئتُ أسألُ عن حجرٍ ضاعَ منِّي

ها هنا ذاتَ يومْ

عن شؤوني التي كنتُ أدفنُها في شقوقِ الجدارِ القديمْ

جئتُ أسألُ عن خاتمٍ من تَنَكْ

فرّ من إصبعي في الطريقِ إلى البيتِ

يومئذٍ لم أُعِرْهُ اهتماما

جئتُ ألقي على حصنِ روحي السلاما

جئتُ أبحثُ عن كتبي

عن حذائي القديم

ومريلةِ الثالث الابتدائيّ

جئتُ أُلملم آثار خطوِ البناتِ

وأختامَ أحذيةِ الطالباتْ

عن غبارِ الطرقْ

جئتُ، كالله، أنفخُ في الطينِ

علِّي أعيدُ إلى ما مضى الروحَ

علِّي أسدُّ الجروحَ وأُحيي الرّكامَ الذي يحترقْ

جئتُ أسألُ عن ركنِ أرجوحتي في الممرِّ الطويلْ

عن عذاباتِ حبِّي الجميل

وقلبي الذي تخلعُه نسمةٌ من هواءْ

عن بداياتِ شعري التي كنتُ أبعثُها للنساءْ

عبرَ أسلاكِ طيّارةٍ من ورقْ"[1].

إن من يدقق – في هذه القصيدة – يلحظ الإحساس بالمأساة والقلق الوجودي بصور تتقطر إحساساً وشعوراً عاطفياً شفيفاً بمآسي الواقع ودناسة الوجود، لهذا، ترددت مفردتي البكاء والضياع في هذه القصيدة دلالة على العبث الوجودي والنفي والانسلاخ عن هذا الواقع الدنس الذي وجد فيه، فلم يجد أمامه إلا الصراخ والبكاء والبحث عن ذاته الوجودية في معمعة هذا الصراع الوجودي القلق المأزوم، الذي لم يمنحه حتى أحلام الطفولة، لهذا أطنب الشاعر في ترسيم بعض المشاهد الطفولية،

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 107- 108.

ليعيد إلى ذاته الاستقرار الروحي بعد أنين الوجاعة الداخلية والنفي الوجودي، كما في قوله: "**جئتُ أبكي فقطْ جئتُ أسألُ عن حجرٍ ضاعَ منِّي ها هنا ذاتَ يومْ عن شؤوني التي كنتُ أدفنُها في شقوقِ الجدارِ القديمْ..... جئتُ أسألُ عن ركنِ أرجوحتي في الممرِّ الطويلْ عن عذاباتِ حبِّي الجميل وقلبي الذي تخلعُه نسمةٌ من هواءْ عن بدايات شعري التي كنتُ أبعثُها للنساءْ عبرَ أسلاكِ طيّارةٍ من ورقْ**".

إن المتأمل – في مداليل هذه الصور– يلحظ الاغتراب الوجودي والقلق والوجاعة الداخلية، ارتداداً نفسياً عما يعانيه من اغتراب في أحلامه الطفولية التي باتت تلازمه، لهذا كرَّس الترسيمات المشهدية الطفولية كـ**[الأرجوحة وطيارة من ورق]**، للتطهير من دناسة الحياة بالعودة إلى براءة الطفولة وأحلامها الوردية.

وقد يصور العفش قلقه ونفيه الوجودي بصور تميل إلى الترسيمات المشهدية الرومانسية بعد كثافة الصور الارتكاسية المؤلمة، كما في قوله:

"**لا تفقْ يا أبي**

آهِ، لا تضطرب يا أبي

لا تصحْ: « مَنْ هنا؟..»

إنّ هذا أنا..

جئتُ أبحثُ عن صورتي في التفاصيلِ

في ما تساقطَ من ذكرياتِ الطفولةِ أثناءَ غفوتنا

في الحجارةِ،

في ملمسِ العشبِ تحتَ سماءِ الربيعْ

في طلاوةِ ماءِ الينابيع

فيما تُخلّفه الشمسُ من ذهبِ العصرِ فوقَ سطوحِ البيوتْ

في الحنين الذي لا يموتْ

جئتُ أبحثُ عن شَبَهي في التفاصيلِ

فيما تَخلَّفَ بين ثنيّات أرواحنا من نزَقْ

في البكاء الذي كان، في لحظةٍ، يعترينا

فيجعل أرواحنا تختنقْ

في الهتاف الذي يشعل القلبَ

في شهقة القلب تحت جناحَيْ سنونوةٍ تنطلقْ

جئتُ أبحثُ عن جدّتي في البقايا

عن حوائجها الغامضاتِ،

روائحِ أثوابها القطنِ،

قمْطتِها،

صلواتِ المساء التي تُذْهِبُ الخوفَ عن روحنا

وتقينا عثارَ الطرقْ

جئتُ أبحثُ عن جدتي

عن رنين عصاها على درج البيتِ

عن سرّ فطنتها الدائمة

جئتُ من آخرِ العالمينْ

أُنظِّفُ روحي على ركبتيها

وأبكي قليلاً على روحها النائمة"[1].

تتأسس مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالوجاعة والدناسة والقلق الوجودي من دنس الواقع وتهرؤاته ومظاهر اتضاعه وفساده ، محاولاً البحث عن ذاته التي تاهت في معمعة الانحراف والضياع ، لهذا، يحاول الشاعر التخلص من دنس الموجودات وتهرؤاتها التي علقت في روحه على ركبة جدته التي تهدهد أحلامه وتمنحه الصفاء والنقاء بقصصها الشائقة وحكاياها الفظَّة التي تغسل جفاف روحه وخوفه من أزمات الحياة وصراعات الوجود، لتعيده إلى أحلام الطفولة، وبراءتها، ونصاعة أيامها الجميلة الحلوة، قائلاً: "**جئتُ أبحثُ عن جدّتي في البقايا عن حوائجها الغامضاتِ، روائحِ أثوابها القطنِ،.... جئتُ أبحثُ عن جدتي عن رنينِ عصاها على درجِ البيتِ عن سرّ فطنتها الدائمة جئتُ من آخرِ العالمينْ أُنظِّفُ روحي على ركبتيها وأبكي قليلاً على روحِها النائمة**".

والملاحظ أن هذه الترسيمات المشهدية لصور الجدة تعيده إلى ذكريات الطفولة وتمنحه الرؤيا الوجودية الطاهرة بعد دنس الوجود الذي تبدَّى في الإحساس بالاختناق والضياع في التفاصيل الجزئية التي زادته قلقاً وارتكاساً داخلياً، أراد التخلص منه بالرجوع إلى ذكريات الطفولة وقصص الجدة الشائقة الفطنة التي تمنحه الراحة والاستقرار والاطمئنان والأمان.

وقد جاءت مناجاته – في المقطع التالي – لأبيه بغاية المكاشفة الوجودية لمظاهر الحياة وارتكاساتها المأزومة المتتالية، إذ يقول:

"**لا تفقْ يا أبي**

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 108-110.

فأنا لستُ جوعانَ

لستُ حزيناً تماماً

ولستُ شقيّاً تماماً

ولكنني...

تعبَتْ فيَّ روحي قليلاً

من دناءةِ هذا الزمانِ المخيفْ

تعبَتْ فيَّ روحي قليلاً

وجسمي قليلاً

ولكنَّني لم أزلْ قادراً أن أصونَ السجايا

وأحفظَ ثوبَ الرعاةِ النظيفْ

لم ألوثْ يديْ بالوحولِ

ولم تَلْوِ قامةَ روحي الكنوزُ

لم تدنّس فمي صلواتُ الذين يجيزونَ ما لا يجوزُ

لم يزلْ سارقو عمرِنا

يضرمونَ الحرائقَ في لغتي ويثيرونَ في الكلماتِ القرفْ

لم أزلْ شاعراً يا أبي

لم أزلْ قادراً

أن أقيسَ المسافةَ بين الرضا والترفْ

لا تنمْ يا أبي

أو... فَنَمْ

أنت قَلْعَتُنا

أنتَ سورُ فضائلنا الباقياتْ

أنتَ علّمتنا

أن نحبَّ الحياة

ونأكلَ لقمتنا بشرفْ"[1].

تتأسس مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالقتامة والدناسة والجوع والفقر والتعب محاولاً تكثيف رؤاه الارتكاسية النفسية بالقلق والتأزُّم الداخلي، كرد فعل عما يعانيه في واقعه من قرف ونفي وحرمان وإحساس بالاستلاب، إذ يقول: "**لم يزلْ سارقو عمرِنا يضرمونَ الحرائقَ في لغتي ويثيرونَ في الكلماتِ القرفْ**"

إن هذا الإحساس الوجودي ظل ملازماً لرؤية العفش الاغترابية في الكثير من قصائده، كنوع من التعبير عن القلق والوجاعة الداخلية والإحساس بالاستلاب، كما في قوله:

"**لِمَ الترابُ شاحبٌ حَولي؟.. لِمَ الهواءُ شاحبٌ**

والأرضُ لا تئنُّ من أجلي ولا تبكي؟!...

إذنْ، فلتجعلوا لي مذْوداً أُولدُ فيهِ مرّةً أخرى

إذنْ، فلتُوْسعوا لي موضعَاً خارج هذي الأرضِ

كي أُنيمَ حسرتي عليهِ

اجعلوا ليْ نفقاً أرحمَ.. أو قبرا

إذنْ.. فلا تعذّبوا طيني ولا تعكّروا الظلامَ من حولي

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 110-111.

دعوا ليْ من شؤون أمّيَ العذراءِ

طينها وقشّها..

ورقّةَ القلب الذي يئنُّ في كفّيْ إذا أدركني النُّعاسُ...

هيِّئوا لي مذوداً أضْوأ كي أُولدَ فيه مرّةً أخرى.

دعوني.

وأتيحوا ليْ عذابَ هبّةٍ من لفحِ نهديها على صدري

لكي.....

ولا تؤلِّبوا

عليَّ ليليْ،

أو تسدّوا ليْ فضاءَ شهقتي

لا تُقلقوا القلبَ الذي ينبضُ في الحطامْ

ولا تثيروا غصّةَ الطينِ

لأنّي.. كلما حاولتُ أن أنامْ

يشعُّ قلبي فيَّ من ضراوة اليأسِ

فلا يبدو عليَّ أنني

جُعلتُ منْ

ظَلامْ"[1].

يمحور الشاعر رؤيته الاغترابية الارتكاسية على النفي والقلق الوجودي محاولاً نفي الذات ووجودها المتصدع القلق إزاء الارتكاسات الوجودية والنفي

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 174-176.

والاصطراع الداخلي، وكأن الشاعر بنفيه للذات ينفي معالم الموجودات الدنسة المحيطة بالذات، كردٍّ فعل على احتجاجه الوجودي وغصة الطين الذي خلق منه محاولاً نبذ الوجود واليأس المعشعش في داخله والظلام الوجودي الذي يملأ عالمه ويخيم على رؤيته ومساحة تأملاته الوجودية، بالنفي والإحساس بالاغتراب والقلق والوجاعة الداخلية والتأزم والاستلاب، كما في قوله: "**ولا تثيروا غصّةَ الطينِ لأنّي.. كلما حاولتُ أن أنامْ يشعُّ قلبي فيَّ من ضراوة اليأسِ فلا يبدو عليَّ أنني جُعلتُ منْ ظَلامْ**".

وعلى هذا النحو، يؤسس نزيه أبو عفش مداليل قصائده على الإحساس بالقلق والتأزم والنفي الوجودي، ارتداداً نفسياً عما يعانيه من ضغوطات وأزمات نفسية مردها النفور من الذات ودنسها الوجودي، لهذا يكثر (أدونيس) في قصائده من صيحات الاحتجاج الوجودية ولحظة الميلاد الأولى، مكثفاً الاصطراعات النفسية القلقة التي ترصد لحظة الميلاد والصيحة الوجودية الأولى.

2. شعرية التمرد بالعبث بمظاهر الوجود وتشويه الموجودات.

يلجأ نزيه أبو عفش – في قصائده – إلى تكثيف رؤيته الثورية على معالم الحياة والوجود مكرِّساً مظاهر التمرد بالعبث بمظاهر الوجود وتشويه الموجودات، لهذا، يغلب الإيقاع السريالي الهذياني الكابوسي على صور العفش، لدرجة يحس القارئ معها بالخوف والرعب من اصطراع الموجودات وعبثها الخلقي وتشويهها الوجودي الدنس، دلالة على نبذ الموجودات ونبذ وجودها المدنس بالانحراف، والتيه، والضلال، إذ يقول:

"راضٍ لكنْ منسيٌّ.

منسيٌّ حتى من نبضةِ قلبكَ

حتى من رفّةِ جفنيكْ

حتى من صوتِ زفيركَ

حتى من آلامِ عبوركَ

حتى من رعشاتِ يديكْ.

خَرِبٌ، متروكٌ، هَلِكٌ..

منسيٌّ حيثُ تَوَلّيتْ

فإذنْ، آآآه لو أمْكَنَ أن يلتفَّ عليك جناحا أمِّك

فيعيداكَ إلى أحشاء خميرتها العمياءِ

فترجعُ من حيثُ أتيتْ

لو أمكن أنْ...

لو يَسْهلُ أنْ...

لو أنْ....

لكنْ..

لكِنَّكَ.. ميتْ

والكلُّ حواليكْ

مرتاعٌ..

ضَجِرٌ..

منتظِرٌ

أن يأتي ربّانُ الأمواتِ أخيراً في ثوبٍ أسودَ..

ورنينِ نحاسٍ

فيصلي، ثم يُهيل ظلامَ اللّهِ عليكْ

ثمَّ: يجيءُ الحمّالونَ..

فتُرفعُ جثتكَ إلى أعلى

ثم.. إلى أعلى....

ثم.. إلى.....

ثم تدبُّ الفوضى فوق الطوفِ قليلاً

ثم: يعمُّ النورُ الموضعَ إذ تمضي

وتغادرُ جثتُكَ الراضيةُ البيتْ"[1].

يكرِّس الشاعر مداليل الصور الشعرية، للدلالة على الإحساس بالتمرد على الموجودات جميعها، بالعبث والقلق من دناسة الوجود، محاولاً تشويه الموجودات تشويهاً داخلياً، للدلالة على الارتكاس النفسي والقلق الوجودي، متمنياً العودة إلى الرحم.... هرباً من دنس الوجود ودنس الموجودات وانحرافها الارتكاسي المؤلم، كما في قوله: "**منسيٌّ حيثُ تَوَلّيتْ فإذنْ، آآآه لو أمْكَنَ أن يلتفَّ عليك جناحا أمّك فيعيداكَ إلى أحشاء خميرتها العمياءِ فترجعُ من حيثُ أتيتْ**".

إن إحساس الشاعر بالضياع الوجودي والانهيار النفسي الذي يطال الذات، ليدل دلالة واضحة على العبث والتمرد على الوجود تمرداً استبطانياً، مرده نفي الذات والوجود ونفي الموجودات بدناستها ومظاهر قلقها وارتكاسها وتأزمها

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 218-220.

وتشظيها، لهذا، يجد في الموت حالة من العبثية الوجودية والنزوع إلى الراحة بعد رحلة الوجود الدنسة ، إذ يقول: "**عليكْ ثمَّ: يجيءُ الحمّالونَ.. فترُفعُ جثتكَ إلى أعلى ثم.. إلى أعلى.... ثم.. إلى..... ثم تدبّ الفوضى فوق الطوفِ قليلاً، ثم: يعمُّ النورُ الموضعَ إذ تمضي وتغادرُ جثتُكَ الراضيةُ البيتْ**".

وقد يأتي التمرُّد الوجودي – عند العفش – محملاً بالتمنيات بالخلاص من دناسة الوجود، ودنس الذات وتأزمها الوجودي، إذ يقول:

"**أخيراً.. ليتكَ يا أبي – وأنتَ تتشمَّمُ روائحَ ثيابي، وما تبقّى من أنقاضي..**

من أوراقٍ، وغبارٍ، وأسمالٍ مبقّعةٍ بالحبرِ والخلِّ والدموعْ –

ليتكَ تعرفُ كم كانَ الولدُ، وهو يقطع الطريقَ إلى ظلامِه،

خائفاً وتعيساً..

كم كان، وهو يكوِّرُ صيحتَهُ كالطغاةْ،

تعذِّبه الذكرى

وتوجعُ قلبَهُ روائحُ الطفولةْ

وكم كانت ضيِّقةً عليهِ دنياهُ الواسعةُ

وقارّاتُ يأسهِ المفتوحةُ على الخرائبِ، والقيظِ، والغبارْ..

وكم كانَ، وهو يتعجَّل المضيَّ إلى ما هو فيه،

يأملُ أن يُعادَ تأليفُ الحياةِ مرّةً ثانيةْ

ليبدأها دونما غلٍّ، أو حسرةٍ، أو شهواتْ

ليتكَ تعرفُ كمِ الخريفُ محزنٌ

والولدُ توّاقٌ إلى قبلةٍ.. وبابٍ.. وحضنٍ أخيرْ....

ليتك يا أبي.....

ليتَ أُمّنا جعلتْ فوقَ لحافنا ورداً

وطيَّبتْ نعاسَنا بالقبلاتْ

ليتَ الأمواتَ لم يموتوا

واليائسينَ صبروا

والضالّينَ يعودونْ.

ليت الإخوةَ، قبلَ أن تنحدرَ الشهواتُ بأحلامهم إلى الجنونْ،

كانوا أرْأفَ بما رَعَيْنا من نباتٍ

وأَطلقْنا من وعودٍ

وطيَّرْنا من فراخِ عصافيرْ.

وليتَ الذين يركضونَ أمامنا

ليصِلوا قبلنا إلى رؤوسِ الينابيعْ

ويقطفوا أُولى الثمارْ

ويزرعوا أعلامَهم على رؤوسِ التلالِ العليا...

ليتهم يتريّثون قليلاً عند هذا المنعطفِ الشائنِ الخبيثْ

لنتبادل ما بقيَ لدينا من أزهارٍ وقبلٍ وأمنياتْ،

ونُصرِّحَ أمامَ جميعِ ما يُزهرُ من لوزٍ

ويسيلُ من سَواقٍ

ويسرحُ من ماعزٍ وغنمٍ وبغالْ..

أننا إخوةٌ.. لا مقتسمو غنائمْ

بشرٌ عاديّون.. لا ملوكْ

وموشكونَ على الرحيلِ.. لا آلهةٌ بكماءُ

لا تحزنُ.. ولا تأسفُ.. ولا تشيخْ.

وليتنا.. لا نشيخ"[1].

تحفِّزنا هذه القصيدة على تتبع مداليلها بوصفها تكتظ بالمداليل والرؤى الارتكاسية في ماهية الخلق والوجود ، محاولاً التعبير عن تمرُّده بالأمنيات التي لا تنتهي، إذ تنطوي كل أمنية من أمنياته على شذرة ارتكاسية من ارتكاساته وجراحاته الوجودية المتتالية واصطراعاته الداخلية المأزومة بالقلق والتوجُّس من جدليات الخلق وماهية الحياة وتناقضاتها الوجودية، كما في قوله: "**ليتكَ تعرفُ كم كانَ الولدُ، وهو يقطع الطريقَ إلى ظلامِه، خائفاً وتعيساً.. كم كان، وهو يكوِّرُ صيحتَهُ كالطغاةْ**". واللافت أن محفِّزات الرؤى الارتكاسية – في هذه القصيدة – تتمثل في لحظة الولادة والقلق والنفي الوجودي والحلم بالتغيير والانبعاث من رماد اليأس والقلق والتأزم الانكساري الوجودي، كما في قوله: "**ليتَ أُمّنا جعلتْ فوقَ لحافنا ورداً وطيَّبتْ نعاسَنا بالقبلاتْ**".

وقد يصل الشاعر نزيه أبو عفش – في تعميق الحس الارتكاسي المؤلم – إلى درجة الانكسار والهذيان والتأزم النفسي، كما في قوله:

"**بأصابعي هذه.. (أصابعي الخرقاء، النحيلة، التي ترتجفُ من لسعةِ الجمال)**

أستطيعُ أن أكتبَ القصائدْ

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 194-197.

وأَفكَّ خيوطَ الحياةِ المشتبكةْ

وأدغدغَ أعناقَ النساء الطائشاتْ.

بكفيّ هاتين أستطيع أن أهزَّ الخصورْ

وأدبّرَ مكائدَ الجمالِ الصغيرة

وأُطْبِقَ على النهودِ المتلعثمة.. كما في صَدَفَةٍ من حريرٍ يرتعشْ.

بهذا الفمِ الخبيث

أستطيعُ أن أتأوّه، وأُقبِّل، وأُطْلقَ الحماقات،

وأتذوّقَ ملوحةَ الجمالِ فوقَ بطونِ العذارى.

بعينيّ هاتينِ

أستطيعُ أن أفضحَ ألغازَ الجمالِ المحرّمة

وأعرّي النساء العنيدات

متزلّجاً، كاللص الأعمى، فوق عاناتهن المطيّبةِ بالدلال

وعطرِ الشهواتِ الأَسْود.

بهذه الأشياء الصغيرة.. وبكثيرٍ سواها،

أستطيع أن أُحبَّ، وأَفترسَ، وأصلّي،

وألهوَ،

وأتوجّعَ، وأُخادعَ، وأغضبَ،

وأنتحبَ، وأخونَ الوصايا المقدسة دائخاً أمام هيبةِ الجمال العظيم.

أما بهذا القلبِ

بهذا القلب الصغير، المرتبك، الشجاع، الخجول، المندفعْ..

بهذا القلب الطمَّاع.. الذي لا يكفّ عن الشكوى

فلا أستطيع حتى وأنا أحتفل بجمالِ الحياة، إلا أن أشهقَ من الحسرةِ

وأخافَ من موتٍ شرير يترصّدني.. خلفَ هذه الورقة"[1].

يؤسس الشاعر مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالتوتر والقلق والارتكاس النفسي، إذ يسعى الشاعر إلى تكريس مظاهر الحسرة والندامة والقلق الوجودي من جراء ارتكاسات الواقع ودناسة الوجود مكرِّساً الصور الغزلية الجسدية الفاضحة، دلالة على التهرؤ الاجتماعي وتدني مستوياته، لهذا، يحاول تصوير الجسد الأنثوي بفوضاوية عابثة، دلالة على النزوع الاغترابي التشويهي، للمقدسات، والمحرمات، والمسكوت عنه في واقع الحياة، إذ يقول: "**بعينيّ هاتينِ أستطيعُ أن أفضحَ ألغازَ الجمالِ المحرّمة وأعرّي النساءَ العنيدات متزلّجاً، كاللص الأعمى، فوق عاناتهن المطيّبةِ بالدلال وعطرِ الشهواتِ الأَسْود**"، واللافت أن التصوير الجسدي الأنثوي الفاضح لمعالم الأنثى دليل على اغتراب الشاعر التشويهي لهذا الجسد، بمعنى أن العفش يخترق حاجز القداسة والحجاب عن هذا الجسد، كاشفاً خباياه، دلالة على نفي المسكوت عنه أو المستور عنه بحجاب العرف والعادة ، بالتعرية الفاضحة والتصوير الحسي الشهواني الدقيق، محاولاً السخرية بالدناسة الوجودية، قائلاً: "**أستطيع أن أُحبَّ، وأَفترس، وأصلّي، وألهو، وأتوجّع، وأُخادع، وأغضب، وأنتحب، وأخون الوصايا المقدسة دائخاً أمام هيبةِ الجمال العظيم**".

وقد يعزِّز الشاعر إيقاع الاغتراب والوجاعة الداخلية بالتمرد وتشويه الموجودات، كما في قوله:

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 377-379.

"هنا، على سريرِ موتنا، نعيشُ ونحلمُ.

على حافةِ الحياة..

نعيشُ ونحلمُ الحياةْ..

كغجرٍ تائهينَ بين الشقاءِ والموسيقا نتدحرجُ إلى حيثُ تقودُنا الأوهامُ..

ونبكي: من الضجرِ أحياناً.. ومن الحنينِ أحياناً،

أحياناً من آلامِ الشعر

وأحياناً لأننا نعرفُ «أن العالمَ كلَّه على خطأ..».

نبكي

لأننا نرى أعراسَ البشاعة

ونشهدُ احتضارَ الجمالْ.

نبكي لأننا نرى سرادقَ الموتِ منصوباً على التلّ..

فيما نحنُ، على السفوحِ المعتمة، ننصبُ الشراك.. ونشحذُ الفؤوسَ

ونلمِّع نصالَ الخناجرْ.

نبكي على الجمالِ الذي يشيخُ

والصداقةِ التي تتفسّخُ بذورُها فوقَ الصخرْ.

على من نحبُّ.. وأحياناً على من نكرهْ.

على الطغاةِ، والفلاسفةِ، والعشاقِ،

والقتلةِ، والشعراءِ،

والقديسينْ..

وعلينا أيضاً.

وعلى صانعاتِ الحياة أيضاً..

على أمهاتنا اللواتي، بقليلٍ من حليبهنّ الكريمْ، صنعنَ « رجالَ الحياة..».

لا ليسعدوا

ويحبّوا

ويباركوا نعمة الحياةْ

بل.. ليموتوا فيما بعدُ على الحافّةْ

بغير إيمانْ مطحونين في حروبِ رجالٍ يكرهون الحياةَ والأمل

ويدوسون، كالبهائم، على كرامة الإنسانْ!..

لأجل هذا نبكي.

لأجل هذا أبكي..

لأجل هذا أشُدُّ لحافكَ الدامي

وأصرخ أمام عينيك: لا جدوى يا إلهنا.. لا جدوى.

لا جدوى أيها الأصدقاء.

لا جدوى يا أمهاتنا

ولا جدوى أيتها الأحلام الهالكةُ على صخورِ السفح: لن تأتي المغفرةْ

لن يأتيَ الجمالْ

ولن يأتيَ الأملْ

سيأتي الجنونْ سيأتي الندمْ"[(1)].

تتمفصل مداليل القصيدة على الاغتراب والضياع الوجودي، إذ يحس الشاعر

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 359- 360.

بالضياع والانكسار الوجودي الذي يقوم على المعاناة والمكابدة والشقاء والضياع والاغتراب النفسي المؤلم، كما في قوله: "**على حافةِ الحياة.. نعيشُ ونحلمُ الحياةْ.. كغجرٍ تائهينَ بين الشقاءِ والموسيقا نتدحرجُ إلى حيثُ تقودُنا الأوهامُ.. ونبكي**".

إن البكاء دلالة الثورة والصراخ على الواقع الوجودي، وما الصراخ والبكاء إلا دلالة على اغتراب نفسي داخلي عميق، ينم على تأزم وانكسار وقلق وتصدع وارتكاس نفسي عميق، وإحساس باللاجدوى من هذا الوجود الدامي، الذي يقوم على الحروب وانتهاك كرامة الإنسان، إذ يقول: "**لا ليسعدوا ويحبّوا ويباركوا نعمة الحياةْ، بل.. ليموتوا فيما بعدُ على الحافّةْ بغير إيمانْ مطحونين في حروبِ رجالٍ يكرهون الحياةَ والأمل ويدوسون، كالبهائم، على كرامة الإنسانْ !..**".

وهكذا، يأتي الاغتراب بالتمرد والعبث الوجودي إيذاناً بالثورة والصراخ والبكاء على أزمة الوجود ولحظة الميلاد الأولى، نظراً إلى دناسة الوجود والإحساس باللاجدوى من هذه المعمعة الوجودية في ظل واقع ارتكاسي مأزوم يسير رويداً رويداً إلى الهاوية والإحساس بالخطيئة ودنسها وجنون الندم والقلق والسعي للمغفرة في لحظة التلاشي والضياع والانهيار، إذ يقول: "**لأجل هذا أبكي.. لأجل هذا أشُدُّ لحافكَ الدامي وأصرخ أمام عينيك: لا جدوى يا إلهنا.. لا جدوى. لا جدوى أيها الأصدقاء. لا جدوى يا أمهاتنا ولا جدوى أيتها الأحلام الهالكةُ على صخورِ السفح: لن تأتي المغفرةْ، لن يأتيَ الجمالْ ولن يأتيَ الأملْ سيأتي الجنونْ سيأتي الندمْ**".

إن سعي العفش إلى تكثيف رؤيته الاغترابية وقلقه الوجودي ينمُّ على شعرية التمرُّد بالعبث الوجودي وتشويه الموجودات، دلالة على التأزُّم النفسي والانهيار أمام

ارتكاسات الواقع ومظاهر فساده واتضاعه وانهياره بالفساد والضياع والانهيار.

3. شعرية الوجاعة بتقديس الخطيئة والإيمان بالمتناقضات:

من مظاهر الإحساس بالوجاعة والقلق والتأزُّم الداخلي – عند العفش – تقديس الخطيئة، فالخطيئة هي الولادة الأولى لرحم الوجود، فالعفش يعد الإنسان خطيئة وجودية ويعد الوجود خطيئة الله على الأرض، ويرى أن الإنسان بالخطايا يبدأ إعلان اقترابه، وتعرفه على ماهية الخلق وتناقضات الوجود، يقول العفش:

"أيتها الخطيئةُ التي هي أمي: أُمجّدكْ.

أيتها الخطيئةُ الطاهرةُ، البيضاءُ، الفاجرةُ، العفيفةُ،

المتعفّفةُ، العمياءُ،

المبصرةُ،

الملعونةُ،

المقدسةُ

الرسوليةُ،

البتول...

أيتها الخطيئةُ المباركةْ..

اقبليني خَدّاماً وفيّاً في بيتِ رحمتكْ

أغسلُ قدميكِ بدموعِ قلبي..

أُهَيّئُ لكِ الشراشفَ والنذور

وأُنظّف مرايا حكمتكِ بلهاثي..

أُعِدُّ لكِ النبيذَ والخبزَ والصلواتْ..

أُوقِدُ الشموع.. بيضاءَ صفراءَ شاحبةً.. وأُتمتمْ: أيتها الخطيئةُ الخالصةُ التي هي أمي..

أنتِ أمي..

التي من ضلعٍ ضعيفةٍ صاغها الشيطانْ

وفي قلبٍ كبيرٍ حفظتها الآلهةْ..: أمي.. وأُمجّدكْ"[1].

هنا، يرى الشاعر في الخطيئة باب المعرفة الوجودية، لهذا، جاء تقديس الشاعر للخطيئة تقديساً للذات بالمعرفة والوصول إلى اليقين الوجودي، وما تمجيد الشاعر للخطيئة إلا تمجيد الإدراك ولذة المكاشفة بعد التيه الوجودي، إذ يقول: "**أيتها الخطيئةُ... أُمجّدكْ.... أيتها الخطيئةُ المباركةْ.. اقبليني خَدّاماً وفيّاً في بيتِ رحمتكْ أغسلُ قدميكِ بدموعِ قلبي..**". فالشاعر يرى في الخطيئة لذة التوبة والمعرفة الوجودية ومتعة الاكتشاف، إذ يقول:

"**التوبةُ خوفْ التوبةُ.. موتٌ أبيضْ.. اتبعْ شهقةَ الحيوان**"[2].

وقد نلحظ أن العفش يقدس المتناقضات، لتصله إلى الله النور الإلهي المطلق الذي أبدع هذه المتناقضات، إذ يقول:

"**في حنجرتي أُحسُّكَ**

تحتَ قلبي أُحسُّكَ..

في ندمي، في خوفي، في وحشةِ أصابعي أحسّكَ

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 518-519.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 519-520.

في بدني كلّه:

في أمعائي،

ودمي،

ولهاثي،

وحيرتي،

وجنوني...

مثلَ وَخْزةْ...

مثلَ حشرجةْ.. مثلَ مسمارٍ يلتمعُ في راحةِ مصلوبْ

مثلَ نسمةِ نورٍ تهبّ من شمعدانٍ أزرقْ..

مثلَ سؤالْ

مثلَ أَرَقْ..

مثلَ لسعةِ قصيدةْ...

مثلَ أنْ يصرخَ الخائفُ: يا ويلي...

مثلَ شهقةٍ خلفَ طيفٍ سرّيٍ ينبعُ من الظلامْ..

مثلَ أنْ يقول أيّوب لخالقهِ: « يا ربّي... عبْدُكَ صابرٌ وضعيفْ»

مثلَ أنينِ عبدٍ مُمْتنٍّ لأنه يتألمْ...

مثلَ زهرةٍ يتيمةٍ تتنفَّس في قفصٍ بلّورْ...

أُحسّكَ تحت قلبي.. وأكثرَ ممّا تحتَ قلبي

لهذا أقول لك: لا تَمْتحِنِّي طويلاً...

أخافُ أنْ أَهْلَكَ قبل أن أصلَ إليكْ

أو أقولُ لكْ؟

امتحِنّي أيضاً وأيضاً وأيضاً

وضلِّلني أيضاً وأيضاً وأيضاً

لأُومنَ أيضاً

وأيضاً

وأيضاً

أنني، بلهاثي خلفكَ أيها الجمالُ القاسي،

أستطيع أن أعرف دائماً

أنني على طريقِ « بولص» الخالدةْ

الموصِلةِ إلى بَرَكةِ الحياة"[1].

هنا، يرى الشاعر في المتناقضات نقطة الاكتشاف الإلهي المبدع لهذه الجدليات والاصطراعات الداخلية، لهذا يحس الشاعر بالذات الإلهية في كل أجزاء بدنه في كل ذرات دمائه وأنفاسه وحيرته، إذ يقول: "**في حنجرتي أُحسُّكَ تحتَ قلبي أُحسُّكَ.. في ندمي، في خوفي، في وحشةِ أصابعي أحسّكَ في بدني كلّه: في أمعائي، ودمي، ولهاثي، وحيرتي**،". ويرى الشاعر أن الإنسان في معمعة التيه والضلال ودنس الخطيئة تقوده هذه المتناقضات والجدليات إلى الإيمان المطلق بالإله الخالق لهذه الجدليات، كما في قوله: "**امتحِنّي أيضاً وأيضاً وأيضاً وضلِّلني أيضاً وأيضاً وأيضاً لأُومنَ أيضاً وأيضاً وأيضاً أنني، بلهاثي خلفكَ أيها الجمالُ القاسي، أستطيع أن أعرف دائماً أنني على طريقِ «بولص» الخالدةْ الموصِلةِ**

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 522- 523.

إلى بَرَكةِ الحياة".

وهكذا، يؤسس نزيه أبو عفش رؤيته على شعرية الوجاعة وتقديس الخطيئة للوصول إلى المكاشفة الوجودية ولذة المعرفة الوجودية التي تقوده إلى جوهر الحقيقة، وهي الذات الإلهية التي أبدعت هذه الجدليات والمتناقضات الوجودية، وما الموجودات إلا دلائل أو علامات تقود إلى خالق مبدع، لهذا، يطلب الشاعر من الله إلا يمتحنه كثيراً، لئلا يهلك قبل الوصول إليه، إذ يقول: "**أُحسّكَ تحت قلبي.. وأكثرَ ممّا تحتَ قلبي لهذا أقول لك: لا تَمْتحِنِّي طويلاً... أخافُ أنْ أَهْلَكَ قبل أن أصلَ إليكْ**". إن هذه الرؤية التأملية الصوفية تعكس فلسفة عميقة في ماهية الخلق والوجود، فالشاعر يرى أن كثرة الامتحانات والبلاءات المتتالية على ساحة الوجود قد تودي بسنوات العمر دون أن يصل المرء إلى نقطة الاكتشاف ولذة الاقتران والالتصاق بالمطلق منبع المعرفة الوجودية والخلق الوجودي.

وهكذا، تسيطر على قصائد نزيه أبو عفش حالة من الإحساس بالعدمية والتلاشي والنزوع إلى تكريس الجدليات والمتناقضات رداً على ارتكاسات الواقع وتناقضات الذات المعيشة على أرض الواقع، هرباً من دنس الذات ودنس الوجود المأزوم المتعلق بهذه الذات، وما نزوع العفش إلى دنس الخطايا إلا لإدراك المعرفة والكشف عن منبع النور الإلهي الذي أبدع هذه الجدليات والمتناقضات وإن أغرق في التشويه المفرداتي للوصول إلى هذه الغاية، لدرجة يظن القارئ معها أن أبا عفش وصل على مرتبة الإلحاد وإنكار الذات العليا، لكن من يتأمل في ذلك يلحظ أن هذه الجدليات مردها ارتكاسات نفسية قلقة، ناتجة عن نفيه للوجود والذات نفياً مطلقاً، كردٍّ فعلٍ عما يعانيه من ضغوط وأزمات نفسية ناتجة عن الصراع

والتساؤلات الوجودية المغرقة في التأمل في نظرية العدمية والفلسفة الوجودية.

نتائج واستدلالات

1. إن جوهر الرؤية الشعرية – عند نزيه أبو عفش – يتكمن في إثارة الجدليات والمتناقضات، ارتداداً نفسياً مأزوماً عما يعانيه من اغتراب داخلي، مردُّه الإحساس بدناسة الوجود ودناسة الأشياء المحيطة بهذا الوجود، وهذه الرؤية، متأثر بها بالشعراء الغربيين الذي ينحون في تأملاتهم صوب فكرة العدم والوجود وعلاقتهم بالله والخلق والكون والحياة.
2. إن في أشعار العفش نفثات صوفية، وهي على قلَّتها تؤكد نزوع العفش الداخلي إلى التأمل، تثيره حركة الأشياء المتناقضة وصخبها النفسي، لهذا، نجده يكثر من ذكر الموت والحياة، والنور والظلمة والخوف والأمان، و"الخطيئة والتوبة والغفران"، وكأن العفش يدرك بتأملاته أن الأشياء جميعها تسير صوب منبع وجودي دائم لا يزول هو الجمال الإلهي الذي أبدع هذه المتناقضات والجدليات.
3. تستقطب قصائد العفش القارئ بهذا البُعد النفسي الذي تخطُّه على بياض الصفحات، راصدة حركة الذات من الداخل، مثيرة فيه الحس التأملي والصدى النفسي، وكأن قصائده تحاكي الجوهر، تحاكي العمق، أكثر من محاكاة السطح أو المظهر الخارجي، لهذا، يمتلك العفش قدرة هائلة على رصد الجوهر والصدى النفسي الداخلي، أكثر من الشعراء الكبار الذين يتجهون إلى التزويق والتنميق التشكيلي على حساب الروح الداخلية وصداها النفسي.

4. يملك نزيه أبو عفش في قصائده جوهر الحكمة، وهذه الحكمة منتزعة من تأملاته في ازدواجيات الكون وجدلية الأشياء واصطراعها على ساحة الوجود، من ذلك قوله: **[الخوفُ خطيئة الخوفُ قبرُ العالم]**[1]، إن من يمعن النظر في القول السابق يدرك نفثها التأملي وإيقاعها النفسي المتصف بالحكمة، وهذه المحاكمات العقلية الذهنية في قصائد العفش تدعو القارئ إلى الغوص في تأملاتها ومغزاها الدلالي لاستنباط إيقاعها النفسي المكثف وصداها الدلالي المتصف بالحكمة والعبرة وعمق التجربة المعيشة.

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 522.